مقتل

دِعْبل الخزاعي

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمته[١]

هو دِعْبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش ابن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة الخزاعي يكنى أبا علي.

أصله من الكوفة وأقام ببغداد.

قيل: إن دعبلاً لقب، وإن اسمه الحسن. ودعبل بكسر الدال هو اسم الناقة.

ولد سنة (١٤٨هـ).

كان دعبل الخزاعي شاعراً مجيداً في الشعر، اشتهرت له بين الناس قصائد جميلة، يأتي في مقدمتها قصيدته الشهيرة في مدح آل البيت، قال عنها ياقوت في معجم الأدباء: «من أحسن الشعر وأسنى المدائح» قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عليها عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بُردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم فلم يبعها.

وهي قوله:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ
ومنزلُ وحْيٍ مُقفر العرصاتِ

(١) انظرها موسعة في: الشعر والشعراء (٧٢٧)، وتاريخ بغداد (٣٨٢/٨)، والأغاني في (٦٨/٢٠-١٤٥)، ولسان الميزان (٤٣٠/٢)، ومعجم الأدباء (٩٩/١١)، والسير (٥١٩/١١)، وغيرها من المراجع.

لآل رسول الله بالخيْف من منىً
وبالركن والتعريفِ والجَمَرَاتِ

ديار عفاها كل جون[١] مباكر
ولم تعف للأيام والسنواتِ

قفا نسأل الدار التي خف أهلها
متى عهدها بالصوم والصلواتِ

وأين الأولى شطت بهم غربة النَّوى
أفانينَ في الآفاق مفترقاتِ[٢]

هُمُ أهلُ ميراث النبي إذا اعتزوا
وهم خيرُ قاداتٍ وخيرُ حماةِ

وما الناس إلا حاسدٌ ومكذِّبٌ
ومُضْطَغِنٌ ذو إحنةٍ وَتِرَاتِ[٣]

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبرٍ
ويوم حنينٍ أسبلوا العبراتِ

قُبورٌ بكوفاتٍ وأخرى بطيبةٍ
وأخرى بفخٍّ[٤] نالها صلواتي

(١) الجون: سحاب أسود ممطر.
(٢) شطت: بعدت. أفانين : حال مما قبله يريد على أنواع وأحوال من التفرق .
(٣) إحنة: حقد، والترة : الثأر.
(٤) فخ: موضع بمكة.

obeikandl.com

وقـبـرٌ ببـغـداد لنفـسٍ زكـيـة
تضـمنها الـرحمـن في الغـرفـاتِ

فـأمـا المصـمّاتُ التي لست بالـغـاً
مـبـالغـهـا مِنِّي بِكُنْهِ صـفـاتِ

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
مـعـرسـهـم فـيـها بِشَطِّ فُـراتِ

تَقَسَّمَهُمْ ريبُ الزمـان كما تـرى
لهم عـمـرة[١] مغشية الحجراتِ

سـوى أن مـنهم بالمدينة عُـصـبـةً
مـدى الدهـر أنضـاء[٢] من الأزمـاتِ

قـلـيـلـة زوارٍ سـوى بـعـض زور
من الضبـعِ والعقبـانِ والرخمـاتِ

لهم كلَّ حينٍ نـومـةٌ بمضـاجـعٍ
لهـم في نواحي الأرض مـخـتـلفـاتِ

وقد كـان منهم بالحـجازِ وأهلـها
مـغـاوير يُخْتَـارُونَ في السـرواتِ[٣]

---

(١) العمرة: الزيارة.
(٢) أنضاء: صفة عصبة.
(٣) مغـاوير. جـمع مغـوار: المقاتل كثيـر الغـارات. السـروات: جـمع سـراة اسم جـمع أسرى، وهو الشريف ذو المروءة، يريد أنهم معدودون في السروات.

obeikandl.com

تنكَّبُ لأواء[١] السنين جوارَهُم

فلا تصطليهم جمرةُ الجمراتِ

إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا

مساعرُ جمر الموتِ والغمراتِ[٢]

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ

وجبريل والفرقانِ ذي السُّوراتِ

مَلاَمَك[٣] في أهل النبي فإنهم

أحِيَّايَ ما عاشوا وأهلُ ثِقَاتي

تخيرتهم رشداً لأمري فإنهم

على كل حالٍ خِيرةُ الخِيَرَاتِ

فيارب زدني من يقيني بصيرةً

وزد حُبّهم يارب في حسناتي

بنفسِيَ أنتمْ من كهولٍ وفتيةٍ

لفك عُناةٍ أو لحملِ دياتِ

أُحِبُّ قَصِيَّ الرحمِ من أجلِ حُبكم

وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق العيش. وتنكب: تعدل عنهم.

(٢) تشمس الفرس: منع ظهره وأبى الركوب، ومساعر: فاعل تشمس جمع مسعر، يريد إنهم إذا وردوا حرباً كان بهم ما بالخيل من تشمس، فيسعرون جمرات الموت بالقنا ولن يردهم عنها راد.

(٣) ملامك: منصوب على التحذير، والمعنى كف ملامك عني في أهل النبي.

وأكتمُ حُبِّيْكم مخافة كاشحٍ
عنيدٍ لأهل الحق غيرِ موات

لقد حفَّتِ الأيام حولي بشرّها
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تر أني من ثلاثين حجةً
أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ

فلولا الذي أرجوه في اليومِ أوْ غَدٍ
لقطَّع قلبي إثرَهم حسراتيِ

سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
كَفَانِيَ ما ألقى من العبراتِ

فيانفسُ طيبي ثم يا نفس أبشري
فغير بعيدٍ كل ما هو آتِ

فإن قَرَّبَ الرحمن من تلك مدتي
وأخَّر من عمري لطولِ حياتيِ

شُفيتُ ولم أترك لنفسي رزية
وَرَوَّيْتُ منهم مُنْصُلِي وقناتي

أحاولُ نقل الشمسِ من مستقرها
وأسمعُ أحجاراً من الصَّلَدَاتِ

فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ
يميل مع الأهواء والشبهاتِ

obeikandl.com

قُصَارَاىَ[١] منهم أن أموت بغُصةٍ
تردَّدُ بين الصَّدْرِ واللَّهَوَاتِ

كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبُها
لما ضُمّنت من شدةِ الزفراتِ

وهي قصيدة طويلة جميلة، لولا ما شانها به من غلوٍ في تشيعه، أخرجه عن السنة والطريقة القويمة في محبة آل بيت النبي ﷺ.

ومن مستحسن شعر دعبل أيضاً: قوله:

أين الشباب وأَيَّةً سَلَكَا؟
لا أين يُطلب ضلَّ بل هَلَكَا؟؟

لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ من رجلٍ
ضَحِكَ المشيب برأسهِ فبكى

ياليت شعري كيف يومُكُما
يا صاحِبَيَّ إذا دمي سُفِكا؟

لا تأخذوا بظُلامتي أحداً
قلبي وطرفي في دمي اشتركا

كان دعبل شاعراً -كما قال ابن خلكان-: «بذئ اللسان، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم»[٢].

(١) قصاراى: يقال: قصاراك أن تفعل كذا: أي جهدك وآخر أمرك .
(٢) وفيات الأعيان (٢/٢٦٦).

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء»[١] حتى إنه هجا قبيلته خزاعة.

وكان دعبل أيضاً كما قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: «من غلاة الشيعة» «خبيث اللسان والنفس»[٢].

وقال عنه أيضاً: «رافضي بغيض سبّاب»[٣].

كان المعتصم العباسي يبغض دعبلاً لطول لسانه، فبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله، فهرب منه إلى الجبل وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئب صب
وفاض بفرط الدمع من عينه غربُ

وقام إمام لم يكن ذا هدايةٍ
فليس له دين وليس له لُبُّ

وما كانت الآباء تأتي بمثلهِ
يملك يوماً أو تدين له العربُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا
من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ

---

(١) تاريخ بغداد (٣٨٣/٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥١٩/١١).
(٣) ميزان الاعتدال (٢٧/٢).

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
خـــيـــارٌ إذا عـدوا وثـامنـهم كلـبُ

وإني لأعلي كلبـهم عنك رفـعـة
لأنـك ذو ذنـبٍ ولـيـــس لـــه ذنـبُ

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
وصيف وأشناسٌ وقد عظم الكربُ[١]

وفـضلُ ابن مـروانٍ سيـثلم ثلمةً
يظلُ لـها الإسـلام ليس له شَـعب[٢]

وهجاه -أيضاً- بعد موته![٣] ثم هجا بعده المتوكل!، وقبله هجا الرشيد والمأمون!

❀ ❀ ❀

(١) وصيف وأشناس غلامان تركيان من قواد عند المعتصم.
(٢) شعب: اجتماع والتئام.
(٣) الأغاني (٩٧/٢٠).

obeikandl.com

مقتله

لقد أسرف دعبل الخزاعي في هجاء الناس، فكان حتفه على يد أحد مهجويه، ومن الملفت للنظر أنه قد تعرض في شعره لخلفاء كثيرين - كما سبق- إلا أنه نهايته كانت على يد من كان أقل منهم مكانةً وسلطاناً.

فقد قصد دعبل يوماً ما (مالك بن طوق) ومدحه، فلم يرضَ ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إن ابن طوق وبني تغلبٍ
لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرَهْ[١]

لم يأخذوا من ديةٍ درهماً
يوماً ولا من أَرشهم[٢] **بعرةْ**

دماؤهم ليس لها طالب
مطلولة مثل دم العُذْرةْ

وجوههم بيض وأحسابهم
سود وفي آذانهم صُفرهْ

وقال فيه -أيضاً-:

سألت عنكم يا بني مالكٍ
في نازح الأرض وفي الدانية

(١) القصرة: بضم القاف وفتحها: الداني النسب.
(٢) الأرش: الدية.

طُراً فلـم تُعـرف لكم نسـبـة
حـــــتى إذا قلـــتُ بنـــو الـ..

قـالوا: فـدع داراً عـلى يمنيـةٍ
وتـلك هـــا دارهـــم ثـانيـــــة

وبلغت الأبيات مـالكاً، فطلبه فـهرب، فـأتى البـصرة وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وقد كان بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن أبي عيينة نزاراً، فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه، وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث إليه مالكٌ فقبض عليه، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه، فجحد القصيدة وحلف عليها بالطلاق ثلاثاً وبكل يمين تبرئ من الدين أنه لم يقلها، وأن عدواً له قالها، ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه، ويبكي بين يديه، فرقَّ له وقال: أما إذ أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك.

ثم دعا له بالعصا فُضرب بها حتى سَلَح[١] وأمر به فألقي على قفاه وفتح فمه، فرد سلحه فيه!! والمقارع تأخذ رجليه، وهو يحلف ألا يكفَّ عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله، فما رُفعت عنه حتى بلع سلحه كله! ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز.

(١) سَلَح: أي تغوط.

فبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً أعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل الرجل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، إذْ ضرب ظهرَ قدمه بُعكّاز مسموم فمات من الغد، ودفن بتلك القرية والله أعلم.

obeikandl.com